الحملات العراقية ضد نجد

سنة ١٢٠١ هـ .

ثويني يغزو القصيم :

في أول سنة ١٢٠١ هـ . سار ثويني برجال المنتفق ، ومن تبعهم من أهل الزبير وبوادي شمر وطي وغيرهم ، وقصد القصيم ، وكان عدد مقاتلته كبيراً جدا ، وكانت أسلحتهم ومؤنهم موفورة . ويقول ابن غنام : إن جيوش ثويني ما كان (يحصي عدتها إلا عالم الأسرار .. حافة بتلك المدافع والقنابل الكبار ، التي لا يقوم عندها حصن ولا جدار ، ولا يثبت عند رؤيتها قلوب الصغار والكبار) . ويقدر ابن بشر زهبة البنادق والمدافع وآلاتها في حملة ثويني هذه بسبعمائة حمل .

معركة التنومة :

نزل ثويني بجموعه أولاً عند قرية التنومة ، وحاصرها ، ورماها بالمدافع أياماً ، ثم استولى عليها . ويقول ابن بشر : إن استيلاء ثويني على التنومة كان عنوة ، وإنه (استأصل أهلها قتلاً ونهباً ، قتل جميع أهلها إلا الشريد ، قيل : إن الذي قتل فيها مائة وسبعون رجلاً) .

أما ابن غنام فيقول : إن الاستيلاء على التنومة تمّ صلحاً بالمكر والخديعة ، وإن أهل التنومة قاوموا الغزاة ببسالة نادرة ، والتحفوا القمص والأكفان وصمموا

على الشهادة متطلعين الى ما عند الله من الجنان ، فلما عجز ثويني عن اقتحام قلعة البلدة بمدافعه الكبار والصغار ، أرسل الى رجال القلعة بالأمان (وزين لهم النزول عن ذلك المكان ، والخروج الى سائر الأوطان .. وكان الواسطة بينهم عثمان حمـــد .. فرضوا بذلك .. ولما استقر ذلك الأمان بينهم ، دخلوا عليهم القلعة سريعاً ، فعجلوا للمسلمين حينهم ، وقتلوا غالب من وجد ، ولم ينجُ إلا من هرب و ُفقد ، ونهبت تلك القرية) .

حصار بريدة :

سار ثويني ، بعد فراغه من التنومة ، الى بريدة . ويقول ابن غنام : إن مقام ثويني عند بريدة كان قصيراً جداً ، وإنه ناوش أهلها الحرب من بعيد ، ثم ارتجف من الخوف والرعب ، فانهزم وعاد أدراجه مسرعاً الى البصرة .

وفي اعتقادنا ، ان رواية ابن غنـــام عن حصار كل من التنومة وبريدة غير دقيقة ، فلا يعقل أن يعجز ثويني عن قرية صغيرة مثل التنومة او يتخلى عن حصار بريدة ولما يمضِ عليه إلا أيام قلائل ، وهو الذي قطع من أجلها المسافات الشاسعة وجهز الجيوش الكبيرة وأنفق الأموال وقاسى الأهوال ، لمجرد .. أنه « ارتجف من الخوف » !..

الواقع ان لعودة ثويني الى بلاده أسباباً اخرى ذكرها ابن بشر وابن عيسى ، فالأول يقول إن ثويني نازل بريدة (وحصل بينه وبين أهلها بعض القتال ، فبينما هو محاصرها أتاه الخبر بأنه وقع في أوطانه ، بعد ظهوره ، بعض الخلل ، فارتحل منها راجعاً) . ويوضح لنا ابن عيسى ما أشار اليه ابن بشر تلميحاً فيقول : إن الخبر الذي بلغ ثويني هو أن (سليمان باشا ، والي بغداد ، عزله عن رئاسة المنتفق وولى مكانه حمود بن ثامر) .

خيبة ابن سرداح :

كان رئيس بني خالد ، عبد المحسن بن سرداح ، قد أقبل من الأحساء لمساعدة ثويني ومقاسمته النصر والغنيمة ، فبلغه وهو في طريقــه اليه ارتحاله وعودته إلى

البصرة ، فعاد من حيث أتى ، ومات بعض رجاله من الظمأ [1] .

متابعة مؤخرة ثويني :

يقول ابن غنام إن أهل بريدة ، بعد انسحاب ثويني، خرج منهم سبعة رجال ولحقوا بمؤخرة ثويني ، لعلهم يصيبون غنماً ، ولكن فرسان ثويني أسرعوا اليهم وقتلوهم ، وإن الأمير سعود جدّ هو أيضاً في أثر ثويني ، فأدرك أسلافاً من شمر. كبيرهم ابن جدى .. فقتل المسلمون منهم رجالاً .. وأخذوا ما عندهم من اثاث وأمتعة وزلال وغنم وآبال ، ورجعوا بأحسن الآمال » .

مصير ثويني والتجاؤه الى الدرعية :

يتتبع ابن بشر أخبار ثويني ، بعد عودته إلى العراق ، فيقول انه نزل بلد الزبير ، فجاء اليه متسلم البصرة للسلام عليه ، فحبسه وأخذ خيله ، وركب ساعته إلى البصرة ودخل السرايا وضبطها واستولى على البلدة ، ثم طلب من أعيانها أن يكتبوا إلى السلطان ليكون أميراً وباشا في بغداد .. فأرسلوا كتاباً بذلك مع مفتي البصرة إلى السلطان العثماني في استانبول ، فلما قرأ السلطان الكتاب عرضة على وزرائه ، فقالوا له : هذا اعرابي متغلب .. فغضب السلطان وطرد المفتي ..

ولما علم والي بغداد ما كان من ثويني ، سار اليه وقاتله ، فانهزم ثويني هزيمة منكرة ، وهرب بمن بقي معه إلى « الجهراء » قرب الكويت ، ثم إلى ديرة بني خالد في الصمان .

وفي عام ١٢٠٤ هـ . ، كما يقول ابن بشر ، سار حمود بن ثامر ، شيخ المنتفق الجديد إلى ثويني وأخذ محله وخيامه وقتل عدداً من رجاله .. فهرب ثويني وقصد إلى بني خالد الذين ساعدهم في محنتهم فلم يحسنوا وفادته .

ولم يرَ ثويني بعد ذلك كله ملجأ له إلا الدرعية ،التي أراد بها الشر غير مرة، فقصدها ونزلها ، فأكرمه عبد العزيز كثيراً وأعطاه مالاً وخيلاً وابلاً ..

---

(١) ابن غنام .

وفي (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد) لإبراهيم بن صالح بن عيسى ، إن ثويني ومن معه ساروا من الكويت « لقتال حمود بن ثامر ، فالتقوا به في البرجسية بالقرب من بلد الزبير ، وحصل بينهم قتال عظيم وصارت الهزيمة على ثويني واتباعه وقتل منهم عدد كبير ، وانهزم ثويني ومعه عدة رجال إلى الدرعية » ..

وفي (تاريخ الكويت السياسي) لحسين خلف الشيخ خزعل ، إن ثويني غادر الدرعية وتوجه إلى الكويت وحل ضيفاً على أميرها الشيخ عبد الله الصباح وعرض عليه ما كان يدور في خلده من أمر ابن اخيه الشيخ حمود بن ثامر ، فأشار عليه الشيخ عبد الله الصباح بالذهاب إلى بغداد لطلب العفو من الوزير سليمان باشا ، والي بغداد ، فقبل ثويني نصحه وانصاع لرأيه السديد » .

سنة ١٢١١ هـ .

ثويني يقود حملة كبيرة على الدرعية ..

ولكن رجلاً مغموراً يقتله وترجع الحملة بالخزي :

أثار استيلاء عبد العزيز على الأحساء غضب السلطان العثماني ، الذي كان حريصاً على استبقاء هذه المقاطعة الغنية ضمن ممتلكاته ، فكتب الى والي بغداد يأمره بتجهيز حملة لمحاربة الدرعية واسترداد الاحساء ، ولكن والي بغداد سليمان باشا اصطنع الأعذار الملفقة لتأخير موعد هذه الحملة، فأعاد السلطان الطلب مرة ثانية ثم ثالثة ، فأذعن الوالي أخيراً لأمر السلطان ، خوفاً على نفسه من العزل والانتقام .

وقد يتساءل أحدنا عن السر في التجاء السلطان العثماني الى واليه وصبره عليه، بينما كان يجب عليه أن يأخذ هو زمام المبادرة ويتحرك فوراً بجيوشه القوية .. والجواب هو: إن البلاد العثمانية كانت تعاني الشيء الكثير من الأخطار الداخلية والخارجية ، فقد حاربتها روسيا والنمسا ، ثم تبعتها فرنسا فدخلت جيوشها بقيادة نابوليون بونابارت مصر .. وإلى جانب هذه الاعتداءات الأجنبية قامت

الفتن في بعض المنـاطق العثمانية المأهولة بعناصر غير تركية .. وكل ذلك أضعف هيبة السلطان وسلطته وقوته ، وسلبه مقدرته على التحرك .

جهز سليمان باشا (عام ١٢١١ هـ .) حملة كبيرة لمحاربة نجد ، اختار لقيادتها الشيخ ثويني ، الذي عرض نفسه على الوالي والتمس منه أن يعيـده الى مشيخة المنتفق ويكل اليه حرب نجد ، فيضمن له .. استرداد الاحساء وتهديم الدرعية.

رواية ابن غنام .. ومناقشتها :

يقول ابن غنام : إن أعداء الدعوة ، من علماء وغيرهم ، هم الذين طلبوا من والي بغداد تجهيز الحملة ، وهم الذين نصحوا له باختيار ثويني قائداً لها ، لما عُرف عنه من الشجاعة والسطوة ، خلال وقائعه المشهورة في القصيم وغيرها .. فعمل الوالي بنصحهم واستدعى ثويني اليه وسأله رأيه في حرب نجـد ، فأجابه ثويني أنه مستعد لحربها وتدمير عاصمتها الدرعية ، فولاه قيادة الحملة وأعاده الى مشيخة المنتفق ، وعزل حمود بن ثامر عنها .

ويبدو لنا أن رواية ابن غنام تنطوي على خطأين :

الخطأ الأول – قوله أن الحملة طلبها العلماء من الوالي كأنها مسألة دينيـة ، والحقيقة هي أن الحملة تمت بأمر السلطان لاعتبارات سياسية ومالية .

ويتبين لنا هذا الأمر بوضوح من قراءة كتب التاريخ العثماني ، التي صوّرت لنا غضب السلطان الشديد من ضيـاع الاحساء ومواردها ، فكتب الى الوالي يأمره باستردادها قبل أن يتحرك أعداء الدعوة .

الخطأ الثاني – قوله أن الوالي استدعى ثويني اليه بناءً على نصيحة العلماء .. والحقيقة هي أن ثويني هو الذي عرض نفسه على الوالي .

يقول مؤلف « دوحة الوزراء » إن استيلاء عبد العزيز على الأحساء وقتله أكثر من مائتي رجل من أهلها ثم استيلاءه على القطيف والعجير ومـا جاورهما وإلحاقها بالقطيف ، واقطاعها لأتباعه وأنصاره ، هذه الأمور كلها (أزعجت الشيخ ثويني وأغضبته ، فاستأذن للخروج واسترداد هذه البلاد من الوهابيين ، وقد وافقت الحكومة على ذلك) .

وهكذا يشير المؤرخ في رفق إلى أن ثويني هو الذي طلب من الوالي أن يأذن له بمحاربة النجديين .. ولكن ابن بشر أكثر جزماً وصراحة في إظهار موقف ثويني وتطرحه على الوالي ، فقد ذكر في تاريخة ان ثويني بعد رجوعه من الدرعية إلى العراق ، (رمى بنفسه على سليمان باشا ، وأقام عنده مدة وهو يحاول صاحب العراق أن يوليه على المنتفق ثم يسير الى نجد ويخربها ويقتل أهلها فوافق على ذلك صاحب العراق..وجعله والياً على المنتفق وعزل حمود بن ثامر).

حشود الثويني :

قضى ثويني أربعة أشهر أو أكثر في اعداد الحملة ، وقد أسميناها الحملة « العراقية » لأن رجالها كانوا من حاضرة العراق وباديتها ، وإن كان الآمر بها سلطان الترك ..

سار ثويني من المنتفق الى البصرة ، فاستقبل فيها استقبال الملوك ، وتبارى العلماء والشعراء في القاء الخطب والقصائد بين يديه ، وفي هذا « الجو » الحماسي ضم ثويني إلى جيشه المؤلف من عربان المنتفق رجالاً من البصرة والزبير وبوادي الظفير و كذلك بوادي بني خالد وكان على رأس هؤلاء « براك بن عبد المحسن » الذي كان تولى امارة الأحساء لعبد العزيز ثم هرب منها،واقيم غيره أميراً عليها.

ويقول مؤلف الدوحة ان والي بغداد أوعز إلى متسلم البصرة أن يسند ثويني (بما عنده من العساكر النظامية ومن الرماة البلوج والمدفعية ، و كذلك ارسلت اليه الدولةالعثمانيةأحد اغوات بيروت المسمىأحمد آغا الحجازي زادة لمعاونته).

ويقول ابن بشر ان بني خالد ساروا كلهما مع ثويني ما عدا المهاشير ، وان ثويني نزل على ماء « الجهراء » قرب الكويت (فأقام عليها نحو ثلاثة اشهر وهو يجمع البوادي والعساكر والمدافع وجميع آلات الحرب من البارود والرصاص والطعام وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر . وركب عساكر أيضاً في السفن من البصرة ومعهم الميرة تباريه في البحر ، وقصدوا ناحية القطيف ، واتفقت له قوة هائلة) ...

حشود نجد لمواجهة ثويني :

يصف لنا ابن غنام بأسلوبه المسجع قوة ثويني العظيمة، وجموعه التي ضاقت « منها الأودية والفجاج والوهود .. والقنابل والقنابر والمدافع التي أصواتها كالرعود » ، ثم يقول : (لما تحقق عبد العزيز الخبر عن الثويني .. رفع يديه لمولاه ..ودعاه : يا من..يكشف السوء عن المكروبين .. أكفنا بحولك وقوتك المعتدين .. وشتت شملهم أجمعين) .

ثم .. أمر عبد العزيز سعوداً والمسلمين بالتجهز والخروج لمناضلة المبطلين ، وأرسل الى البلاد كافة ، دانيها وقاصيها، يأمرهم بالتجهز ، فلبوا دعوته وبادروا الى الطاعة وخرجوا للجهاد .

– لكن هذه المحنة فضحت كثيراً من الناس لم يستطيعوا الصبر على البلاء ، فزين لهم الشيطان أن يرتدوا فنقضوا العهد – .

خرج سعود بجموعه في النصف الأول من شوال سنة ١٢١١ هـ . ، وأرسل فريقاً من جيشه وأمَّر عليهم محمد بن معيقل وسيَّره حتى نزل بطرف الصمان ، ولما علموا أن جيش ثويني يريد أن يسبقهم الى (الطف) حثوا السير اليه فسبقوه ونزلوا عليه . وأقام سعود في (الحفر) زمناً ، يكاتب قبائل الاعراب وفرق الإسلام وبلدانه وجميع من دان بالتوحيد من أهل الجنوب والشمال، يطلب منهم النصرة والعون ، فتتابعت عليه الامداد ، فكان كلما جاءته جماعة أرسلهم الى (الطف) ليلحقوا بجيش المسلمين هناك ، حتى اجتمع من الخلق ما لا يكاد يحيط به الحصر .

تلك رواية ابن غنام ، وهي تردّ الى سعود وحده إمارة الجيش منذ اللحظة الاولى . وأما ابن بشر فيقرر لنا أن عبد العزيز استعمل ابن معيقل أميراً على أهل الخرج والفرع ووادي الدواسر والافلاج والوشم وسدير والقصيم وجبل شمر، وأنه نزل بجيوشه (الطف) في ديرة بني خالد . وأما سعود فقد خرج بعد ذلك بأهل العارض واستلحق غزواً من البلدان ونزل (التنهات) ، الروضة المعروفة عند الدهناء ، ثم رحل عنها الى الحفر ، الماء المعروف بحفر العتك .

ويضيف ابن بشر إلى ذلك أن عبد العزيز أمر أيضاً ما لديه من البوادي من مطير وسبيع والعجمان والسهول وغيرهم من بوادي نجـــد يحشدون بأهاليهم ومواشيهم ويقصدون ديرة بني خالد ويتفرقون في أمواهها وينزلون ويثبتون في وجه هؤلاء الجنود ، ففعلوا ما أمروا به .

تحركات الجيشين :

سار ثويني بجموعه من الجهراء الى الاحساء قاصداً الطف ، حيث تجمعت فرق نجدية يقودها ابن معيقل ، فلما بلغ هذا الأمير مسير ثويني نحوه تراجع بجنوده عن الطف وانحاز الى ام ربيعـــة وجودة، ثم تحرك ثويني بجنوده ونزل (الشباك) ، موقع ماء ، فوقع شيء من الوهن في صفوف النجديين ، ولكن الجيشين لم يلتحما في قتال سافر ، وبقيا مدة طويلة يتفاديان المعركة الحاسمة ، وربما استطعنا تقدير هذه المدة بأربعة أشهر او نحو ذلك ، كانت شبه هدنة غير معلنة ، ولذلك استطاع بعض مقاتلة نجد خوض معـــارك جانبية مع قوم من (العمائر) في القطيف ، وأعراب من شهران ، ثم سار بعضهم الى جزيرة العمائر، خائضين اليها البحر بخيولهم ، ولعل هذه الغزوة العجيبة أول غزوة برية بحرية يخوضها رجال نجد [١] !

---

(١) لخص ابن غنام الثلاث الغزوات التي قام بهـا رجال الدعوة ضد العمائر وعرب شهران ، قال :

١ – غزا ابن معيقل مع جيش من أهل الأحساء والمهاشير وأهل نجد وقصدوا جزيرة العمائر فلما اجتازوا اليها الصحراء وبدت لهم الجزيرة ، خاضوا اليها البحر ، ولم يغز المسلمون قبل هذه الغزوة في البحر ، وخاضت معهم بعض الخيل ، فلما وصلوا ساحل الجزيرة أغاروا على أهلهـا فقتلوا منهم عدة رجال وأخذ المسلمون ما بها من الأموال .

٢ – أرسل سعود رسلا نحو القطيف، ومعهم ركب آل مرة، فوجدوا هناك قوماً من العمائر فأخذوهم على غرة وقتلوا منهم خمسة وعشرين رجلا وأخذوا سلاحهم .

٣ – سار ربيع بن زيد ، أمير وادي الواسر ، يريد جهة الحجاز ، فأغار على فريق يقال لهم أبو البؤس ، من اعراب شهران ، فهزمهم وقتل منهم نحو خمسين رجلا وأخذ المسلمون جميع الحلة والغنم والابل .

مقتل ثويني وزوال الغمة :

يقول ابن بشر ان مجرد نزول ثويني بجيوشه على (الشباك) أوقع الخلل في بوادي المسلمين ، ولم يكن قد بدأ قتالاً بعد ، ولكن الله سبحانه « أراد الفرج بعد الشدة والقصر بعد اليأس ، فتسلط على ثويني عبد اسمه (طعيس) فقتله ، وكان هذا العبد فارق براك بن عبد المحسن ، حين نقض العهد ، فأتى إلى بوادي المسلمين وغزا مع ركب جيش منهم .. فوافقه أناس من قوم ثويني ، وأخذوا الركب والعبد .. وصار مع بني خالد عند براك ، فصمم عزمه على قتل ثويني وكان قد أظهر ذلك عند بعض من حضره ، وهم يستهزئون به ،فحين نزل ثويني الشباك المذكور وجلس بمجلسه .. أقبل العبد من خلفه فطعنه بين كتفيه طعنة واحدة ليست نافذة ، ولكن الله جعل فيهـا حتفه ، وقتل العبد من ساعته ، وحمل ثويني إلى الخيمة حيث مات ، وجعلوا أخاه ناصراً أميراً مكانه » [1] .

رواية مانجان عن القاتل :

يقول مانجان ان العبد طعيس كان لجأ مع جماعة من أهل الأحساء المتمسكين بعقيدتهم الى الدرعية ، وخدم عبد العزيز ، ثم انضم إلى جيش الأمير سعود ،ثم خرج واستأسر لفريق من بوادي الظفير ، وبهـذه الوسيلة استطاع الوصول الى معسكر ثويني ، فترصد له حتى رماه في مجلسه بحربة في صدره كان فيها هلاكه وقـد استل ثويني قبيل موته سيفه وضرب به قاتله ضربة ، ثم أجهز عليه الحاضرون ..

---

(١) يقول ابن غنام ان مقتل ثويني وهزيمة جيشه وقعا عام ١٢١١ هـ . والصحيح أنهما وقعا عام ١٢١٢ ، وفي ابن غنام ان طعيس كان من جماعة براك بن عبد المحسن وان بنى خالد هددوا براك بالأسر والاعتقال إذا لم ينضم إلى ثويني ، ففعل خوفاً..بينما هرب جماعة من رجاله المخلصين لعقيدتهم ومنهم طعيس إلى الدرعية ، وان طعيس – كما في رواية مانجان – غزا مع مناع أبا رجلين فأسره رجال من الظفير كانوا مع جيش ثويني وأخذوه معهم ..

رواية الدوحة :

وفي دوحة الوزراء : (بينما كان ثويني جالساً في خيمته الكائنة قرب خيمة محمد عريعر ، دخل عليه رجل عربي أسود ، وبيده حربة حديدية ، وهتف : « الله أكبر » ، ثم قذف بها على صدره فسحقته ، وخرج رأسها من ظهره ومات على الأثر .

أما القاتل فقد تجمعوا عليه وقتلوه حالاً ، ولم يعرف هل هو من أتباع عبد العزيز الوهابي ، او أنه من جماعة شيوخ بني خالد .

أما محمد العريعر وبراك فقد كان كل منهما يطمع بالاستيلاء على الأحساء وجعلها تحت حكمه . ومهما قيل في هذه الحادثة فإنها قلبت الخطة رأساً على عقب ، وسببت عودة هذه القوات من حيث أتت ، وفيما هم في طريق عودتهم هجم عليهم الوهابيون وأوقعوا بهم قتلاً وفتكاً ذريعاً ، أما اخوان الشيخ ثويني وعشائر المنتفق فقد القوا ما بأيديهم من المدافع واكتفوا بإنقاذ عوائلهم وأنفسهم وفروا إلى ديارهم . وأما العسكر البلوجي فقد وقع الوهابيون به ضرباً وأسراً واستولوا على ما معه من المدافع والعتاد وغير ذلك وذهبوا بها غنيمة باردة الى الدرعية .

لقد وصلت أخبار هذه الحادثة الى بغداد سنة ١٢١٢ هـ . فكان وقعها شديداً ..) .

رواية بريدجس :

ويزعم (بريدجس) أن الأمير سعود كان على علم سابق بنيَّة طعيس وعزيمته ، لأنه تقدم بجيشه نحو الغزاة فور وقوع القتل .

ولم يذكر بريدجس المصدر الذي نقل عنه ، ولا يمكن بناء حكم تاريخي على مجرد التوهم .

والأرجح عندنا ، ان كان يمكن الترجيح بين (وهمين) ان يكون براك هو الذي شجع العبد على فعلته ، وإن كان التفسير الأمثل هو أن العبد إنما أقدم على فعلته نصراً لدينه .

— **بيعة طعيس ذهبت مثلاً :**

وقـــد أصبح عمل طعيس ، أي إقدامه الجريء على قتل ثويني في ظروف لا يرجو فيها لنفسه خلاصاً من القتل والتمثيل، مثلاً يُضرَب . قال مؤلف تاريخ الاحساء : (وبهذا يعرف معنى المثل العـامي ، فيقولون للرجل المغامر : بايع بيعة طعيس ، يعني اندفع اندفاع طعيس في قتل ثويني) .

انحياز براك وأثره في هزيمة المعتدين :

لم يكن مصرع ثويني وحده سبب هزيمة جيوشه المريعة ، فقد كانت تستطيع التماسك ومتابعة القتال او حفظ شرفها على الأقل ، فهناك عنصر يجب ألا يغفل كان له أثره في تخاذل المعتدين ، وهو انحياز براك برجاله الى جيش المسلمين بعد مقتل ثويني . ويقول ابن غنـــام : إن براك كتب الى كل من عبد العزيز وسعود أن انضمامه الى ثويني لم يكن برضائه وإنمـــا أُكره عليه وأنه سيتحين الفرص للحوق بالمسلمين .

ويقول ابن بشر : إن براك ندم على متابعته لثويني ، وعرف أن ثويني – إن استولى على الاحساء – لن يؤثر على أولاد عريعر أحدا .

ويقول مانجان : إن الأمير سعود كان كتب الى براك أن ينضم اليه في قتال ثويني ، فأجابه : الأفضل أن أكون مع ثويني ، ثم أنسحب من معسكره عند احتدام المعركة ، وبذلك تقع الفوضى في صفوفه .. فالهزيمة .

وقد نفذ براك وعده فور مقتل ثويني ، فانحاز هو وجمـــاعته الى الجيش الإسلامي الذي كان يقوده حسن بن مشارى ، فأوقع ذلك الرعب والهلع في رجال ثويني ، فلاذوا بالهرب وتخففوا من أحمالهم الثقيلة كالمدافع ونحوهـــا ، ولكن جنود عبد العزيز تبعوهم وغنموا منهم غنائم هائلة .

النصر المؤزر بعد مصرع ثويني :

تحول الخطر الداهم بمصرع ثويني وما تبعه من انحياز براك ، الى نصر مؤزر للمسلمين، كانت له رنة فرح في نجد وعند رجال الدعوة في كل مكان، بينما استقبله

خصوم الدعوة بالوجوم والهلع والحزن . ويقدّر ابن غنام ما أخذه المسلمون من رجال تويني بمائة ألف رأس من الغنم وثلاثة آلاف من الإبل وغير ذلك. ويقول ابن بشر : (كان قتل ثويني رابع المحرم أول سنة ١٢١٢ ، وسميت هذه الوقعة « سجية » ، فلما فرغ سعود من قسمة الغنائم سار ونزل شمال الاحساء وخرج اليه أهلها وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، وقدم فيه وأخر ، ونهى وأمر ، وأخذ من الأموال ما لا يحصر) .

مصرع ثويني في « المقامات » :

يتخذ الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ مصرع ثويني دليلاً من جملة الأدلة على رعاية الله تعالى للمسلمين في نجد ، فقال في إحدى مقاماته : (.. وأما وزير العراق فسار مراراً عديدة بما يقدر عليه من الجنود والكيد الشديد ، وأجرى الله عليهم من الذل ما لا يخطر ببال قبل أن يقع بهم ما وقع ، من ذلك أن ثويني في مرة من المرات مشى بجنوده الى الاحساء ، بعد ما دخل أهلها في الإسلام في حال حداثتهم بالشرك والضلال ، فلما قرب من تلك البلاد أتاه رجل مسكين لا يعرف ، من غير ممالأة لأحد من المسلمين ، فقتله ، فمات ، فنصر الله هذا الدين برجل لا يعرف ، وذلك مما به يعتبر ، فانفلّت تلك الجنود وتركوا ما معهم من المواشي والأموال خوفاً من المسلمين ورعباً ، فغنمها من حضر ، وقد قال الشيخ حسين بن غنام في ذلك :

تقاسمتم الأحساء قبل منالها
فللروم شطر والبوادي لها شطر)[1]

---

(١) هذا البيت من قصيدة طويلة لابن غنام ، يقول فيها أيضاً :

تلألأ نور الحق وانصدع الفجر ... وديجور ليل الشرك مزقه الطهر
لقد أقبلوا ، والأرض ترجف منهمو ... وقد أدبروا ، يقفوهم الذل والصغر
رمى الله أحزاب الضلال كما رمى ... ذوي الفيل إذ أعياه عن مكة الحصر

انصاف ثويني :

لم يكن ثويني موفقاً في مسيره الأخير الى الاحساء، ولكننا لا نستطيع أن نجرده من كل فضل سابق بسبب هذه الفعلة . يقول ابن سند :

(في سنة ١٢١٢ هـ . قتل « الشقي طعيس » ثويني بن عبد الله بن مانع القرشي الهاشمي العلوي الشبيبي ، فمات غريباً شهيداً .. فحُمل ودُفن في جزيرة العماير ، وعند ذلك سقط في أيدي الجيوش التي معه وانفلتُوا راجعين ، فتبعهم جيش ابن سعود ، ومـا زالوا معه في مكابدة الشدائد حتى نزلوا مـاء يسمى « سفوان » ، فأمل اخوان ثويني أن يلمّوا الجيش مرة ثانيـة ويعودوا لغزو الوهابيين كما كان في نيّة ثويني ، إلا أن الباشا صرف نظرهم عن هذا الفكر) .

ونحن لسنا مع ابن سند حين يصف طعيس بأنـه شقي ويصف ثويني بأنه شهيد ، ولكننا معه حين يمتدح ثويني لأنه حارب العجم ، الذين احتلوا البصرة مرتين وارتكبوا فيها من الفظائع ما يعجز عنه الوصف .. ووفقه الله في التغلب عليهم مرتين (١) .

الحملة العراقية الثانية بقيادة الكيخيا علي (٢) :

كان لهزيمة الحملة العراقية الأولى على نجد ، بعد مصرع قائدها ثويني ، أثر سيء جداً في نفس والي بغداد ، فأرسل إلى السلطان العثماني تقريراً يذكر فيه أسباب اخفاق الحملة ووعد بتسيير حملة جديدة أقوى منها تحقق النصر المنشود .

---

(١) وفي (تاريخ الكويت السياسي) ان سليمان باشا أعطى ثويني، حين ولاه رئاسة المنتفق ، خمسين الف قرش ومائة ناقة ومائة فرس ومائة خلعة ، فما خرج من بغداد إلا بعد أن فرق كل ما أعطاه .

(٢) – الكتخدا – أو الكيخيا – : لقب يستعمله الأتراك بمعنى النائب ، ويقصد به هنا نائب الوالي ومساعده – وعلي باشا ، نائب والي بغداد ، كما يقول دليل الخليج الفارسي ، عبد معتق من الكرج زجورجيا ، زوجه مولاه سليمان بنته واتخذه نائباً له ، وقد وصفه بعضهم بأنه جاهل وفظ غليظ عنيد ، ولكن بريدجس يقول انه شاب شجاع صاحب همة ، وقد يكون جاهلا بأصول الحرب .

وفي سنة ١٢١٣ هـ .أتمّ الوالي تجهيز هذه الحملة،وعقد رايتها لنائبه الكتخدا علي باشا .

ويقول مؤلف الدوحة ان الكتخدا علي ، تألم كثيراً هو أيضاً من اخفاق الحملة ، فأقنع الوالي سليمان باشا بأن يكل اليه قيادة الحملة الجديدة، فوافق على ذلك (وجهزه بكل ما يحتاج اليه من أموال وعتاد وعساكر ولوازم ، وبعد اكمال استعداداته غادر بغداد بجيش لجب في اليوم ٢٢ من ربيع الآخر ١٢١٣هـ. حتى بلغ البصرة وعسكر في الرباط مدة وجيزة وسافر بعدها نحو الزبير ، وقد جند في طريقه حوالي خمسة آلاف مقاتل من النجادة ، وسار

(في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان)

ويقول ابن سند في مختصره ، ان بين الذين اشتركوا في حملة الكيخيا : ابراهيم ابن ثابت ، ابن وطبان، ومعه جم غفير من أهل الزبير – وابن وطبان هذا يلتقي آباؤه بآباء آل سعود ، ويتهمه ابن سند بمالأة السعوديين – واشترك في الحملة أيضاً ناصر الشبلي أمير عرب عقيل ، وحمود بن ثامر بن سعدون بن مانع أمير عرب المنتفق ، وفارس الجربا أمير شمر ، كما صحب الكيخيا: الشيخ محمد بن عبد الله بن شاوي الحميري ، أحد دهاة العرب .

ويصف لنا ابن بشر قوة هذه الحملة الجديدة ، فيقول انها كانت تتألف من عساكر كثيرة من (العراق والأكراد والجرة والبصرة .. وعربان المنتفق مع رئيسهم حمود بن ثامر ، وآل بعيج والزقاريط وآل قشعم وجميع بوادي العراق وبوادي شمر والظفير ، واتفق له قوة هائلة من المدافع والقنابر وآلاتها وآلات الحرب ، وسار معه أيضاً أهل الزبير وما يليهم ، فاجتمع جموع كثيرة مما وراء العراق إلى نجد ، حتى قيل إن الخيل الذي يعلق عليها ثمانية عشر ألفاً) .

ويقول ابن سند في سبائك العسجد ، ان الكيخيا (أرسل إلى آل خليفة برسل وصحيفة يروم منهم النجدة والمناصرة والعدة .. فأرسلوا اليه .. هدايا ، وصحائف منطوية على وصايا) .

وفي (اللمع) ان الحملة سارت إلى جزيرة بلبول بقرب الكويت ، وكان الناس يصلون اليها مع دوابهم خلال الجزر ، إذ تنحسر المياه بينها وبين البر ، وقد استعملت الحملة مائتي سفينة استأجرتها من عتوب الكويت ومائتي سفينة من أهل أبي شهر وكنكون وكانت هذه السفن محملة بالبندق والمدافع والبارود والمشاة ..

سبب اشتراك المنتفق وشمر في الحملة :

يبدو أن لاشتراك شمر والمنتفق في هذه الحملة الجديدة أسباباً خاصة ، وقد كشف لنا ابن بشر عن سبب نقمة الشمريين ، في كلامه عن مسير الأمير سعود عام ١٢١٢ هـ . الى السماوة ، لأن عيونه أتوه بعد غارته على سوق الشيوخ في العراق – وأخبروه (بعربان كثيرة مجتمعين في الابيض – الماء المعروف قرب السماوة – فوجّه الجيوش وأغار عليهم على مائهم ذلك ، وكانت تلك البوادي كثيرة من بوادي شمر، ورئيسهم مطلق بن محمد الجربا ، الفارس المشهور ، ومعه عدد من قبائل عربان آل ظفير وآل بعيج والزقاريط وغيرهم ، فحصل بينهم قتال شديد وطراد خيل ، ثم حمل عليهم المسلمون فدهموهم في منازلهم وبيوتهم ، فقتل عدة رجال من فرسان شمر والظفير وغيرهم وقتل ذلك اليوم مطلق الجربا المذكور ، وكان على جواد سابق ، وهو يقلبها يمنة المسلمين ويسرتهم ، فعثرت به جواده في نعجة ، وأدركه خزيم بن لحيان ، رئيس السهول وفارسهم فقتله ، وغنم المسلمون محلتهم وابلهم ومتاعهم .)

أما المنتفق فلم يشر ابن بشر إلى غارة سعود عليهم سنة ١٢١٢ هـ . ولكن ابن سند ذكر في مختصره ان سعوداً غزا في تلك السنة أطراف المنتفق ، فصبح القرية المعروفة باسم العباس ، وقتل منها ومما حولها خلقا كثيراً ، وحرق وكر راجعاً .

سير الحملة الى الأحساء :

لم يشأ الكيخيا أن يسير بحملته إلى الدرعية ،عاصمة عبد العزيز، لأن الطريق

اليها وعر، فقرر المسير إلى الأحساء والاستيلاء عليها أولاً ، والإقامة فيها قليلاً، ثم التوجه بعد ذلك الى الدرعية ...

ويقول مؤلف الدوحة ان الكيخيا كان ينوي اتخاذ الأحساء(قاعدة لحركاته كي يستطيع أن يجلب منها بسهولة ما يحتاج اليه بصورة تدريجية. وهكذا تحرك بمن معه حتى وصل محلاً يقال له (الروضتين)،لا يدل اسمه على مسماه ، إذ لا ماء فيه ولا رياض ، وعليه فقد جاوزه إلى « الجهرة » ونزل فيها ، ولكن ماءها كان مالحاً وغير صالح للشرب والطريق وعرة لا يمكن مواصلة السير فيهـــا ، فظل حائراً في أمره، وعندئذ انبرى شيخ الكويت لمساعدة الحملة ، بأن استأجر بعض السفن البحرية من مكان يسمى العجير ، نقلوا بها بعض المعدات والذخائر الثقيلة عن طريق البحر ، وواصلت الحملة سفرهـــا بمشقة حتى بلغت أول قرية من قرى الأحساء وهي المسماة « نطاع » فأناخوا فيها مدة عشرة أيام ، ثم تحركوا حتى اقتربوا من مدينة الأحساء نفسها) .

استسلام الهفوف والمبرز ومقاومة حصونهما :

لما اقترب الكيخيا من الأحساء أحب دخولها صلحاً فكتب إلى أعيان البلدة يستميلهم اليه ، فأجابوه بالقبول والطاعة ، وكذلك فعل أهل المبرز ، وهي بلدة قريبة من الهفوف(قاعدة الأحساء والتي تسمى أيضاً باسم المنطقة كلها: الأحساء).

استسلم أهالي الهفوف والمبرز ، ولكن رئيس حصن الهفوف ، الأمير سليمان ابن عفيصان ، ورئيس حصن المبرز الأمير سليمان بن ماجد رفضا الاستسلام ، هما ومن معهما من رجال نجد، وبفضل مقاومة هذين الحصنين اضطر الكيخيا إلى فك الحصار عنهما ومغادرة الأحساء ..

بطولة المرابطين :

كان حصن المبرز يعرف باسم (صاهود) الهدف الأكبر للحملة ، ويقول ابن بشر : إن حصار الحملة لهـذا الحصن دام من سابع رمضان الى السابع من ذي القعدة ، أي شهرين ، وان العدو كان (يحاول هذا الحصن بكل الأسباب ، من

القتال وسوق الأبطال ، والرمي بالمدافع والقنابر الرمي العظيم ، الذي هدم غالب الحصن وكاد يفنيه لولا وقاية الله تعالى. .وقد حفروا عليه حفوراً وملأوها بالبارود وثوروها عليهم وبنوا بنياناً عالياً يرمون منه وسط القصر ، وعملوا زحافات للجدران وسار خلفها الرجال بالمدافع وهدموا بالمدافع جدرانه وبيوته ولكن حماة الحصن كانوا يبنون ما يخربه الأعداء ويسدون الثغر التي يحدثها رميه بنيطات التمر) ..

ويذكر ابن بشر ان حماة الحصن كانوا نحو مائه رجل فقط .. (أكثرهم من بلدان نجد ، مع الشجاع الماجد سليمان بن محمد بن ماجد ، من أهل ثادق.. وألقى الله عليه ثباتاً عظيماً هو ومن معه ، ولم يعبأوا بتلك الجنود ولم يعطوا الدنية لعدوهم ، فلما طال المقام على تلك العساكر والجموع وبطل كيدهم ، وقع في قلوبهم الملل والتخاذل وألقى الله في نفوسهم الرعب وزلزلوا وارتحلوا اجمعين وتركوا الأحساء ، وانهزم معهم أهل الأحساء الخائنون ، لا يلوي أحد على أحد ولا والد على ولد ، وتركوا محالهم وأمتعتهم واموالهم .

ولما أراد الكيخيا ومن معه الارتحال ، جمعوا سلالمهم وزحافات الخشب والجذوع التي أعدوها لحفر الحفور والجدران ، وشيئاً من متاعهم وطعامهم ، وأشعلوا فيها النيران .

ولما وصلوا « القطار » المعروف عند حويرات الأحساء وقع في قلوبهم الرعب وخافوا من سعود وجيوش المسلمين فدفنوا رصاص مدافعهم .. وأحرقوا بعض خيامهم وراياتهم .

وأما الذين امتنعوا على الكيخيا في قصر الهفوف فرئيسهم ابن عفيصان ومعه عدة رجال من أهل الخرج وغيرهم، وليس عليهم معظم حصار وحاولوهم مراراً عديدة ولم يحصلوا على طائل) .

رواية ابن سند :

ويقول ابن سند في مختصره : وأطاع الكتخدا غالب سكان المبرز ، وفي اثناء الحصار غزا حمود نجداً فأغار على سبيع فقتل منهم وغنم ابلاً وشاءً جماً ،

ومعه في تلك الغزاة فارس الجربا وابن أخيه بنية الجربا – وبنية هذا أحد من اشتهر بين العرب بالكرم والشجاعة والنخوة – ولما رجع حمود من تلك الغزوات وورد على الكتخدا بالغنيمة قويت همته وحاول فتح القلاع .. ولكن الأطواب لم تعمل شيئاً في اسوار الأحساء وذلك لمتانة اسوارها، فلما طالت مدة الحصار ولم يمكن للكتخدا الفتح وهدم القلاع ، واشتد القحط على العسكر ، فرّ الكتخدا هارباً مع عسكره قاصداً العراق . وفرّ أهل الحسا مع جيش الكتخدا خوفاً على أرواحهم وأعراضهم وفروا في أسوأ حال من تشتيت الحال وعدم وجود الرواحل فكانوا مشاة حفاة جائعين عطشى،يجدّون في السير خوفاً من ابن سعود يدركهم .. تاركين الأموال والديار ، سالكين المهامه والقفار ، خصوصاً من تداخل مع عسكر الدولة في تلك الأيام) .

رواية اللمع :

ويزعم صاحب (اللمع) ان عجز الكيخيا عن اقتحام قلعة الهفوف ، كان بسبب خيانة البكوات ، أعيان بغداد ، الذين كانوا يرافقون الحملة ، وخيانة حمود رئيس المنتفق أيضاً .. فقد استطاع ابن عفيصان أن يشتريهم بالهدايا والأموال ، وهي رواية انفرد بها اللمع لا يعتقد بها .

رواية الدوحة :

يصف لنا مؤلف الدوحة حصار الحصنين فيقول ان المناوشات بين حماتها وبين جيش الكتخدا استمرت مدة عشرين يوماً ، ولما رأى قادة الجيش أن مدافعهم لم تؤثر في جدران الحصون ، تناولوا المعاول وراحوا يعملون على هدمها فلم ينجحوا أيضاً ، ثم وصلت اليهم مدافع ثقيلة فاستعملوها وأثرت في الجدران ، ولكن هذه المدافع كانت تنفجر وتتمزق بعد الطلقة الرابعة ، وهكذا عجز الجيش عن دك الحصون وتهديمها ولم يبقَ أمامه سوى الاستمرار في الحصار حتى يستسلم حماة الحصون وهذا أمر يطول ، والجيش لا يستطيع الانتظار طويلاً ، (فلا كلأ ولا عشب ، وقد هزلت الجمال وقعدت عن حمل الأثقال ، وهلك منها

مـا يقرب من تسعة آلاف بعير ، وتناقصت الذخائر والمعدّات ، وراح الجنود يفكرون .. في الهلاك الذي ينتظرهم فيما إذا بقوا على هـذه الحالة ، وذهبوا الى رؤسائهم يلحُّون عليهم بضرورة الإسراع في العودة لعدم وجود فائدة من بقائهم هناك . إلا أن هؤلاء الرؤساء اعترضتهم مشكلة ، وهي كيفية العودة بعـد أن هزلت الحيوانات التي معهم وتعذر نقل الأثقـال . وأخيراً قرروا أن تسحب المدافع من قبل الجنود والمشاة ، وأمـا الذخائر والمعدّات الاخرى فبعضها دفن تحت الأرض وبعضها أُتلف او أُحرق لئلا يستفيد منه العدو ، وعلى هـذه الحالة انسحبوا الى الوراء ، بلا زاد ولا ذخائر ولا مؤن ، حتى وصلوا موقعـاً يسمى « الشباك » ، وهم في حالة يرثى لها ، وقد وجدوا في هـذا المكان عشباً وماء أنقذهم وأنقـذ دوابهم من الهلاك ، ثم ادلهمّت السماء وأرعدت وأمطرت عليهم مطراً غزيراً وهبّت عليهم عواصف أطارت خيـامهم وبعض أمتعتهم وبقوا لا ملجأ لهم من الرياح والأمطار ، ولقوا من العذاب ما لا يمكن وصفه حتى كادوا أن ييأسوا من حياتهم ، واستمروا على هـذه الحالة طول الليل حتى الصباح ، وعندئذ طلعت الشمس وتقشعت الغيوم وتنفسوا الصعداء ، وفتشوا عن خيامهم فعثروا عليها وأتوا بهـا الى المعسكر ، ثم أدركتهم المؤن باقتراب السفن منهم ، ولكن المؤن كانت قليلة ولا تكفي هذا الجيش أكثر من يوم واحد ، ومع ذلك فقد تقاسموها ، ومن أصاب رطلاً من الشعير فهو سعيد .

وبينما هم على هذه الحالة،بلغهم أن ابن عفيصان كتب إلى عبدالعزيز آل سعود يخبره بمـا حلّ بالجيش العثماني ، ويحرّضه على انتهاز الفرصة للانقضاض عليه وسحقه ، فقام هذا وحشد جمعاً كبيراً من عشائر الوهابيين وأهل اليمن والعارض وجبل شمر ، وأرسله بقيادة ابنه سعود ، فاندفع يتعقب الجيش ويتلصص عليه.

فلما بلغ ذلك علي باشا أخذته الحميّة والغيرة ، وقـام باتخاذ الاستعدادات اللازمة لضرب هذه الحشود والانتقام منها .

أمـا سعود ، ومَن معه ، فقد تقدم بتحريض ابن عفيصان حتى اقترب من مكان يسمى « مخبات » وهناك تحصّن واستعد .

وأما علي باشا وجيشه فقد اقترب منهم ، واتخـــذ مواقع في مكان يسمى « الثاج » .

ثم بدأت مناوشات بين الطرفين قُتل فيهـا منهما بعض المحاربين ، وكان من جملة القتلى خالد الثامر ، وهو أخو شيخ المنتفك ، حمود ، ثم اشتد القتـــال شيئاً فشيئاً .

سعود يطلب الصلح :

وأيقن الوهابيون أن لا قِبَل لهم بمواصلة الحرب، فأعلنوا الرغبة في الصلح ، وأرسل سعود كتاباً إلى علي باشا ، هذا نصُّه :

(من سعود بن عبد العزيز إلى علي

أما بعد . . عرفنا سبب مجيئكم إلى الأحساء وعلى أي منوال جئتم، أما الأحساء فهي قرية الآن ليست داخلة في حكم الروم وبعيدة عنكم ولا يحصل منها شيء يسوى تعبكم، ولو أن جميع الأحساء وما يليها تؤدي لكم دراهم ما تعادل مصروفاتكم التي عملتموها في هذه السفرة، ولا يوجد بيننا وبينكم من المضاغنة قبل ذلك إلا ثويني، فهو كان المعتدي ولقي جزاءه، فالآن مأمولنا المصالحة، وهي خير لنا ولكم، والصلح سيد الأحكام).

شروط الكيخيا للصلح :

فلما رأى علي باشا ان الاستمرار في محاربتهم يتطلب الاحاطة بهم من كل مكان وتضييق الحصار عليهم إلى أن يستسلموا ، واستعمال المدافع لدك حصونهم والهجوم عليهم وكلتا الحالتين غير متيسرة ، وذلك بسبب ضعف الجيش وقلـة المياه العذبة والكوارث التي أصابته ، وبعد المداولة في هـذه الامور مع ذوي الرأي من الرؤساء والشيوخ الذين معه قرروا قبول الصلح .

وهذا نص الكتاب الذي أرسله علي باشا إلى سعود ردا على كتابه :

(من علي باشا الى سعود بن عبد العزيز

أما بعد .. فقد أتانا كتابك ، وكل ما ذكرت من أمر المصالحة صار معلوماً لدينـا ، ولكن على شروط نذكرها لك ، فإن أنت قبلتها وعملت بها فحسن ، والا فما نحن بعاجزين عنك ولا عن طوائفك ، بعون الله وقوته ، وعنـد الخبر الصحيح اذا اشتدت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك المضحاك والسيف المهند ، حيث لنا مقدار أربعة أشهر في بلادك ، نجوب الفلا ونستأسر أهل القرى مـا قدرت تظهر من مكانك غير هذه الدفعة ، وبهذه الدفعة أيضاً اغتررت بقول ابن عفيصان .

أما الشرط الأول ، فهو أن الأحساء لا تقربها بعد ذلك .

والثاني : الأطواب التي أخذت من ثويني انك ترجعها .

والشرط الثالث : تعطينا جميع ما صرفناه على هذا السفر .

والرابع : أن لا تتعرض للحجاج التي تجيء اليك من طريق العراق ، ولا تتعرض لأبناء السبيل ، وتكف غزوك عن العراق وتكون معنا كالاول .

فهذه الشروط التي أخبرناك بها ، والسلام على من اتبع الهدى) .

سعود يقبل بعض الشروط :

وهذا جواب سعود بنصه :

(.. جاءنا كتابكم وفهمنا معناه ، أما من حال الشروط المذكورة :

فأولاً : الأحساء هي قرية بعيدة عن دياركم وخارجة عن حكم الروم ومـا تجازي التعب ولا فيها شيء يوجب الشقاق بيننا ، فهذه حالها .

وأما الأطواب ، فهي عند والدي بالدرعية فإذا صدرت اليه أعرض الحال بين يديه .

– والوزير سليمان باشا أيضاً يكتب اليه ، فإن صحت المصالحـة وارتفع الشقاق بين الطرفين فهي لكم ، وأنا كفيل بها أن أجيبها إلى البصرة .

وأما مصاريفكم ، فإني لا أملك من هذا الأمر شيئاً ، والشور في يد والدي والذي هو يقرره يصل اليكم .

وأما مـا ذكرتم من أمن الطريق وعدم التعرض للحجاج والمترددين فحباً

وكرامة ، وعلي عهد الله وميثاقه انه ما يفقد لكم بعير واحد ، ولا يسري منا ضرر على المترددين ، وما لهم عندنا غير الكرامة والتسيار ..)

قبل الكيخيا جواب سعود ، وتمت المصالحة بينهما وعاد الجيش العراقي إلى بلاده .

ويقول صاحب الدوحة ان هذه الحملة غابت عن العراق قريباً من عشرة أشهر ، (وقد لاقت من الأهوال والمهالك ما لا يمكن وصفه ، وان ما جمعه الوالي سليمان باشا من الأموال وما ادّخره من سنة ١١٩٤ إلى السنة الثالثة عشرة ومائتين وألف قد صُرف كله في سبيل هذه الحملة ، ومع كل هذا لم تأتِ بالثمرة المرجوّة) .

وقاحة الكيخيا :

وقد علق مختصر ابن سند على شروط الكيخيا ، قائلاً :

(انظر إلى هذا الكيخيا المغفل ، الذي يشترط شروطاً ، مع كونه مغلوباً مهزوماً ، وهل هذا إلا نوع من الوقاحة ؟..

وانظر إلى ابن سعود كيف أجابه بأجوبة ، وترك بيت القصيد ، أعني مصاريف الحرب وردّ الاطواب ..

.. ما قاله في جوابه الأول : من سعود بن عبد العزيز إلى (علي).. ولم يذكر لعلي أباً ، إشارة إلى كونه لا يعلم له أب ..) .

رواية ابن سند في مسألة الصلح :

يرى ابن سند أن الكيخيا هو الذي جنح إلى الصلح ، بسبب خيانة المسؤول عن ذخائر الحملة ومؤنها ، وميل ابن وطبان إلى أهل نجد ، وهذا ما قاله :

(لما قفل الكتخدا هارباً ، جدّ في طلبه سعود بن عبد العزيز بجيشه فأدركه في محل يسمى « ثاج » ونزل سعود « الحناءة » ، وانشبك القتال بين الفريقين ، وقُتل خالد بن ثامر أخو حمود ، فبينما الفرسان تتطارد إلا وقد جنح الكتخدا للصلح ، وذلك أن بعض كبراء عساكر الكتخدا من أقارب سعود وعلى مذهبه ،

فصاروا يهولون أمر سعود للكتخدا فداخله الخوف ، كما فعلوا به لما كان في الأحساء . والسبب الثاني أن متولي مصاريف جيش الكتخدا اختلس أموالاً جمة وقيدها في الدفاتر كذباً وزوراً فاقتضى رأيه أن العسكر إذا رجع مهزوماً ومصالحاً على المغلوبية فلا يصير عليه شدة محاسبة على المال التالف ، لأن جميع الأموال والذخائر التي كانت معه تعدُّ من جملة المهالك ويقطع النظر عنها .

وأما المتهوم بهذه الخيانة وأنه هو الذي كان يشير على الكتخدا بالهزيمة ويهول أمر سعود والوهابيين هو : إبراهيم بن ثابت بن وطبان ، لأنه كان رجلاً فصيحاً منطقياً من دهاة العرب ، ويظن فيه مثل هذا الكلام ومتهم ببعض من عقائدهم ، يعني أنه يكبر أمر الوهابيين عند بعض أمناء الكتخدا فينقلون له ذلك الخبر إلى أن داخله الخوف وكان ما كان ، خصوصاً ان ساعده بمثل هذه الأفكار متولي الخزينة بناء على خيانته المالية ، ولذلك أكثر الناصحين للكتخدا مثل حمود بن ثامر وأمثاله ما كانوا راضين بالصلح .

وأما قول المؤرخ التركي ان سبب انهزام الكتخدا في هذه الوقعة وطلب الصلح هو نفاد الزاد من العسكر فهو غلط محض مبني على إشاعة الخائنين ، بل الخبر الصحيح ان الذين نفد زادهم هم الوهابيون ، ولو تأنى الكتخدا يومين لفرُّوا من أمامه طلباً للقوت .

.. ولما تمّ الصلح على هذه الكيفية رجع الكتخدا إلى بغداد، ولم يفِ سعود بواحد من الشروط .

رأي ابن بشر في الصلح :

لا يذكر ابن بشر شيئاً عن رسائل الصلح المتبادلة بين سعود والكتخدا ، ويكتفي بالقول ان الله (ألقى الرعب في قلوب الكيخيا وجنوده ووقع فيهم الفشل فطلبوا المصالحة والمكافة وان كلاً من الفريقين يرحل على عافية وحقن دماء ، وصالحهم سعود على ذلك فارتحلوا إلى أوطانهم) .

أما ما سبق هذا الصلح ومهد له فهو - كما يقول ابن بشر - ان سعود لما علم برجوع الكيخيا إلى العراق وأراد أن يهجم (على ساقتهم ومتخلفهم ويخيفهم

ويأخذ من شذّ من بواديهم فسار إلى الماء المعروف باسم « ثاج »، ولكنه فوجىء بأن عساكر الكيخيا مقبلة نحوه ، لا هاربة منه .. وهكذا جمع الله بينه وبين خصمه على غير ميعاد.. فتبايع المسلمون على الموت وهم يظنون ان تلك العساكر والجموع تناجزهم ، وجرى بينهم مجاولة خيل .. وأقاموا على ذلك أياماً ..)، ثم كان الصلح – على غير موعد أيضاً – (ثم رحل سعود وقصد الأحساء ونزل عليه ورتب حصونه وثغوره وأقام فيه قريب شهرين ، واستعمل عليه أميراً سليمان بن محمد بن ماجد ثم رحل إلى وطنه قافلاً .)

رواية مانجان :

يقول مانجان إن غاية الحملة التي قادها الكتخدا كانت احتلال الأحساء ، وقد سار عربان العراق تحت الراية العثمانية ، وعند وصول الحملة إلى الأحساء أعلن كثير من الأهالي خضوعهم ، بينما انضم قسم منهم إلى حصن (الكوت) الذي كان يقوده الأمير الوهابي إبراهيم بن عفيصان .

هاجمت الحملة الحصن ، وكانت كلما فتحت فيه ثغراً سده المدافعون بقفف التمر ونحوها .. ويجثث قتلاهم أيضاً !

وبعد حصار دام سبعين يوماً ، قال المقاتلون للكيخيا : ما الفائدة من هذا الحصار ؟ إن رجال سعود يناوشوننا في السهول ويزعجوننا !

فقرر الإنسحاب ..

وبلغ ذلك سعود ، فذهب إلى بئر (ثاج) ، ولكنه رأى أن جند الكيخيا لم ينسحبوا ، وانهم على العكس من ذلك ، يتجهون نحوه ، فأقام التحصينات والمتاريس !...

ووقع الصدام بين الجيشين ..

وكان الجيش العثماني يتألف من (٢٨) ألف فارس وعشرة آلاف من المشاة[١].

وكان جيش سعود يتألف من (١٢٠٠) فارس و ١٢ ألفاً من المشاة .

---

(١) تقول لادي بلنت إن عدد الجنود النظاميين بينهم أقل من الخمس وكثرة المقاتلين من البدو.

وبعد مناوشات ، تقرر عقد الصلح ، وانسحب الكيخيا إلى العراق .
ولما وصل سعود إلى الأحساء كافأ ابن عفيصان على إخلاصه وجعله حاكماً على المقـاطعة . وهكذا توطد سلطان عبد العزيز وأصبح الناس جميعاً يحبون الخضوع اليه .
وعقد الصلح بينه وبين الشريف غالب وذهب كثير من أهل نجد إلى الحج .
وبعـد انسحاب جيش بغداد ، أراد عبد العزيز أن يقيم صلات حسنة مع سليمان باشا فأرسل اليه عشرين جواداً وعباءآت وهدايا) ..

ـ رواية كورانسيز :

يزعم كورانسيز ان الكيخيا كان قادراً على أخذ عبد العزيز أسيراً ، لو انه أراد ذلك ، ولكنه قبل الرشوة فتخاذل ..
وهذا الزعم باطل ، لأن عبد العزيز لم يشترك في الحملة حتى يؤسر ..
ولكننا ننقل رواية كورانسيز ملخصة لمجرد العلم بما كتبه هـذا المؤرخ الذي كان أول غربي كتب عن الدعوة الوهابية ، قال :
(أثارت قوة عبدالعزيز حسد السلطان العثماني ،وكان السلطان يحكم امبراطورية كبيرة جداً ، ولكنها تتألف من أقاليم معادية لحكمه ، فما كان يستطيع إخضاع الثائرين عليه بوسائله الخاصة ، وإنمـا كان يؤلـب إقليماً على إقليم لتبقى الأقاليم كلها في حالة تفرقة وخصومة وضعف ، فيسهل عليه بذلك التسلط عليها ..
وفي عام ١٧٩٨ م . أمر السلطان والي بغداد بمحاربة الوهابيين، فجهز الوالي حملة كبيرة وجعل عليهـا نائبه (علي) – الذي غلب عليه لقب (كيخيا) او كتخدا ومعناه النائب او الوكيل – واصطحب معه مستشاراً يدعى (محمـــد الشاوى) ، كان رئيساً لعشيرة العبيد .
تفصل الدرعية عن بغداد صحراء لا يمكن اجتيازها بأقل من اثني عشر يوماً ، والحر وقلة المياه يجعلان السير فيها محفوفاً بالأخطار والمشاق ، ولقـــد اجتاز الكيخيا هذه الصحراء بجهد جاهد واستطاع الوصول إلى الأحساء بجيش كثيف رهيب ، ففوجىء الوهابيون بذلك ، لأنهم كانوا تعوّدوا على مفـاجأة الآخرين

ومبادأتهم القتال ، فلما بودئوا بالقتال على أرضهم تصدعت صفوفهم واضطر أميرهم عبدالعزيز إلى الهرب وكاد يقع في أيدي أعدائه، ولكنه بذل مالاً وهدايا للشاوي، فترك هذا حليفه الكيخيا ، ثم أقام نفسه وسيطاً بينه وبين ابن سعود، ولا شك في أن الأموال التي غمره بها الأمير السعودي كان لها أثرها السحري على الكيخيا أيضاً ، فانعقد الصلح بينه وبين الوهابيين، مع أنه كان قادراً على تدمير مُلكهم .

كان يبدو أن معركة مثل هذه ينهزم فيها عبدالعزيز تجعله يكره (التحرش) بالسلطنة العثمانية مرة ثانية ، ولكنه ما كاد يتخلص من هذه الازمة ، حتى عاد إلى الظهور أمام مشهد الحسين ..) [1] .

- **رواية جان ريمون :**

يقول جان ريمون في مذكراته : (رأى علي باشا أنه لا يستطيع الاعتماد على العرب وحدهم ، فجهز حملة على مقدمتها فرقة من الأكراد ، دخلت الأحساء بقوة وشجاعة وقضت على كل من اعترض سبيلها ، وبقيت حامية سعودية في الحصن فأمر الكيخيا بإدارة المدافع على الحصن .. ولكن عبد العزيز اشترى محمد الشاوي بالمال ، فزين للكيخيا محاسن الصلح وضرورته ، فرفع الكيخيا الحصار وعقد صلحاً مع الوهابيين) .

وما نشك في أن كورانسيز قد اطلع على مذكرات ريمون ونقل عنها، وتزعم الليدي (بلانت) ان هدايا أُرسلت أيضاً إلى والي بغداد .. وبلانت تنسب ذلك إلى سعود لا إلى عبد العزيز ، فتقول : رأى سعود ان الحكمة تستوجب منه مداراة الوالي التركي سليمان باشا ، فأرسل اليه جياداً أصيلة وهدايا ثمينة سلمت اليه في بغداد .

---

(١) كان سعود بن عبد العزيز هو الذي يتولى بنفسه قيادة المعارك ضد الحملات العراقية وضد العراق ، ولعل كورانسيز وضع اسم الأب مكان الابن ، ولكنه على كل حال قد غالى في تصوير قوة الحملة العراقية ، وعلى افتراض أن سعود جنح الى الصلح فليس معنى ذلك أنه ضعيف ..

الكيخيا هو الذي طلب الصلح :

إذا كان ريمون وكورانسيز وابن سند ومؤلف الدوحة يقولون إن الوهابيين هم الذين طلبوا الصلح ، فسليمان بن سحمان يؤكد لنا في كتابه (كشف غياهب الظلام) إن الكيخيا هو الذي استجدى الصلح استجداء من سعود ، وان الله ألقى الرعب في قلوب رجال الكيخيا مع كثرتهم وقوتهم (فطلبوا الصلح ، على أن يدعهم سعود يرجعون إلى بلادهم) ..

رواية طريفة لبريدجس :

كان بريدجس وزيراً لانكلتره في بلاط شاه العجم ، وقد زار العراق عند عودة الكيخيا من حملته على الأحساء ، فروى قصة طريفة قد يكون فيها بعض التأييد لرأي ابن سحمان ، قال :

(أخفق علي باشا في حملته لأنه سار إلى الدرعية تاركاً في الأحساء حامية لابن سعود تهدد ساقته ..

أما عجزه عن حصون الأحساء فسببه أنه كان يضرب التحصينات بالمدافع عن مسافة كبيرة بعيدة ، بحيث كانت القنابل تتساقط دونها أو تلامسها في ضعف .. وهكذا اضطر إلى عقد هدنة مع الأمير سعود ..

وقد رأى الأمير الوهابي أن يرسل مندوباً عنه إلى والي بغداد ليأخذ موافقته على مشروع الصلح الذي وقعه الكيخيا علي باشا ، وقد وصل هذا المندوب بصحبة علي باشا نفسه إلى بغداد .

حدّد سليمان باشا يوماً مخصوصاً لاستقبال المندوب الوهابي ، وأراق على مراسم الاستقبال كل مظاهر العظمة ..

وجاء المندوب السعودي ، بكل بساطه ، جلس قرب الباشا ، وخاطبه بلغة عربية فصيحة ، قائلاً :

(السلام على من اتبع الهدى . يا سليمان ، أرسلني عبد العزيز لأسلمك هذا الكتاب ، ولآخذ منك موافقتك على العهد الذي اتفق عليه ابنه سعود وخادمك

سليمان ، فافعل ذلك بنية صادقة واخلاص ولا تبدل شيئاً في شروط العهد فإن الله يغضب على من ينكثون بعهودهم ، وكن واثقاً إنك متى أبرمت العهد أبرمه عبد العزيز هو أيضاً) ..

وما كاد المندوب الوهابي ينهي كلامه حتى غادر المكان، وسط دهشة الحاضرين وتعجبهم . وهذا شيء عجيب حقاً ولا يكاد أحدنا يصدقه ، ولكن الأغرب من ذلك أن الباشا كتب إلى السلطان في استانبول يقول إن عبد العزيز أرسل اليه رسولاً يلتمس القبول .. بعقد صلح معه .

كانت ملابس المندوب السعودي بسيطة جداً، بينما كانت ملابس الباشا محلاة بالفرو والثمين والذهب والماس..وكان كتاب عبد العزيز الى الباشا مثال البساطة ومكتوباً على رقعة من الورق لم تكن ناصعة البياض !

وقد قابلت الباشا ، بعد انصراف المندوب ، فوجدته غاضباً ممـــا جرى – ولعله كان مستاءً من حضوري وشهودي لما وقع – وقد شتم العرب !

سنة ١٢١٦ هـ .

واقعـــة كربلاء :

في العام ١٢١٦ للهجرة غزا سعود (كربلاء) ، ولكن عبد العزيز لا يعـدُّ مسؤولاً عن وقائعها ، لأنه كان منقطع الصلة بما وقع في العراق ..

رواية ابن بشر :

يقصُّ علينا ابن بشر خبر غزوة كربلاء ، من غـــير أن يذكر مقدماتها والأسباب الدافعة اليها ، ومن غير أن يلتمس بعـد ذلك تبريراً لما وقع فيها من الامور ، ثم هو لا يذكر شيئاً عن أصدائها في العالم الإسلامي .

إن حادث كربلاء ، عند ابن بشر ، غزوة من الغزوات الضخمة ، أسفرت عن قتلى كثيرين وغنائم كبيرة ، وهذا ما قاله عنها :

(.. سار سعود بالجيوش المنصورة ، والخيل العتـاق المشهورة ، من جميع حاضر نجد وباديتها والجنوب والحجاز وغير ذلك ، وقصد أرض كربلاء ونازل

أهل بلد الحسين ، وذلك في ذي القعـــدة ، فحشد عليها المسلمون وتسوّروا جدرانها ودخلوها في ذي القعدة ، عنوة ، وقتلوا غالب أهلهـا في الأسواق والبيوت ، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين ، وأخذوا ما في القبة وما حولها ، وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر ، وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت والجواهر ، وأخذوا جميع ما وجدوا في البـــلد من أنواع الأموال والسلاح واللباس والفرس والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك ما يعجز عنه الحصر ، ولم يلبثوا فيها إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال ، وقتل من أهلها قريب ألفي رجل .

ثم إن سعود ارتحل منها على الماء المعروف بالأبيض ، فجمع الغنـائم وعزل أخماسها ، وقسم باقيها بين المسلمين غنيمة ، للراجل سهم وللفـــارس سهمان ، ثم ارتحل قافلاً إلى وطنه) [1] .

رواية كورانسيز :

وصف كورانسيز واقعة كربلاء وصفاً مبالغاً فيه ، وهـذا ما قاله في شيء يسير من التصرف :

(الإمام الحسين هو ابن علي وسبط النبي ، جـــاء من المدينة الى العراق ، فقتله حكام العراق الأمويون قريباً من الكوفة ، في سهل كربلاء ، فدفن هناك ، وأقام له الشيعة ضريحاً وبنوا حوله بلدة ، أطلق عليها اسمه ، هذه البلدة خربها الخليفة العباسي المتوكل عام ٨٥١ للهجرة ، فأعـاد ملوك الفرس بناءها ، وأنشأ الشاه اسماعيل ، مؤسس الاسرة الصوفية ، مسجداً كبيراً حول ضريح الحسين ، كان خلفاؤه يتبارون في تحسينه وتزيينه ، وقد أصبح مشهد الحسين موضع تعبد وتقديس عند الفرس .

تقع بلدة الإمام الحسين على بعد ستة أميال من (الحلة) ، وهي بلدة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على سبعة آلاف ، ويديرها (متسلم) ، يعيّنه باشا بغداد

---

(١) في لمع الشهاب أن ما أخذه سعود من كربلاء بلغ ستمائة مليون ريال !..

كل سنة ، ومعه عدد من الجنود ، وهناك أيضاً جماعـة من الفرس يقومون على حراسة كنوز المسجد .

وقد جرت العادة أن يحتفل الشيعة كل عام بعيد (علي) ويحجوا الى ضريحه الذي يبعد خمسة أميال عن مشهد الحسين.. وفي يوم الحج هذا خرج أهالي المشهد من بلدتهم ، فانتهز الوهابيون فرصة غيابهم عن البلدة واقتحموها ، وكان عددهم حوالي ١٢ ألفاً ، ولم يكن في البلدة إلا عدد قليل من الرجال المستضعفين قتلهم الوهابيون ولم يبقوا منهم أحداً حياً .. ويقدر عدد الضحايا ، خلال يوم واحد، بثلاثة آلاف ..

أما السلب فكان فوق الوصف ، ويقال ان مائتي بعير حملت فوق طاقتهـا بالمنهوبات الثمينة !.. فقد استولى الوهابيون على كل الكنوز والأموال، وجردوا القبة من صفائح النحاس ، لأنهم ظنوها من الذهب ..

وصلت أخبار هــذه الغزوة الهائلة الى بلاد فارس فهج الناس وماجوا ، وطلب الشاه من والي بغداد الإسراع بتجهيز حملة تأديبية ضد الوهابيين وأنذره بأنه سيسير بنفسه لتأديبهم عبر العراق، اذا لم يفعل الوالي ما طلبه منه ، فوعده الوالي وعوداً) ..

رواية مانجان :

يقول المؤرخ مانجان ما ترجمته :

دخل سعود كربلاء على رأس عشرين ألف مقاتل ، وكان ذلك في أول يوم الأضحى ، وقــد قتلوا الرجال ، ولكنهم وفـروا النساء والأطفال والشيوخ والعجزة ، ونهبوا الدور والحوانيت ، وهدموا قبة مشهد الحسين ، وقـد دلّهم حارس القبر على مكان الكنوز فأخذوها ، وهي :

٢٠ سيفاً مرصعاً بالجواهر – أوانٍ وزهريات ومصابيح ثمينـــة – سجاد نفيس صينيات مطليّة بالذهب – مصاحف ممتازة بخطوطها وزينتها – لآلىء، وزمرد ، ومرجان ، الخ ..

لؤلؤة في حجم البيضة ، أخذها الأمير سعود لنفسه خاصة .

وقد اقتلع الوهابيون الفصوص الذهبية من الجدران ، وأخذوا من أسواق البلدة ما ليس يحصى كثرة من المتاع والأقمشة ، كما أخذوا عدداً من الجواري ..

وأما النقود التي أخذوها فهي :

٦٠٠٠	مربعة اسبانية .
٣٥٠٠٠٠	ريال ضرب البندقية .
٤٠٠٠٠٠	دوقية ضرب هولندة .
١٦٠٠٠٠	ريال ضرب القسطنطينية .
٦٠٠٠٠	تومان ، عملة فارسية ذهبية .
٢٥٠٠٠٠	قرش اسباني .
٤٠٠٠	روبية .

وقد استمر النهب ثماني ساعات ، ثم أخلى المهاجمون البلدة مساء ، وذهب سعود إلى ماء يبعد يوماً عن كربلاء ، وأخذ يحصي الغنائم ، ثم وزعها ، بعد أن فرز منها الخمس الشرعي ، وقفل راجعاً إلى الدرعية .

الأسباب التي أدّت الى واقعة كربلاء :

يقول ابن سند ان سعود بن عبدالعزيز أراد التقوّي بأموال كربلاء استعداداً لتملك الحرمين .

وفي اعتقادنا ان طلب المال لم يكن الدافع إلى غزو كربلاء ، فقد كان بين العراق وبين الدرعية ميثاق سلام وصفاء ، ولا يعقل أن ينقضه سعود لمجرد الشهوة إلى المال .

الواقع ان غزوة كربلاء كانت ردّاً على عدوان شديد قام به بعض رجال العراق ضد أنصار الدعوة ، فاعتبرت الدرعية ذلك العدوان نقضاً للعهد وتحدياً يستوجب العقاب ، فكانت غزوة كربلاء ...

قال الغزاوي ، في حوادث سنة ١٢١٤ هـ . :

(.. وردت حدرة من الوهابية « سابلة » فصادفها الخزاعل ، فقتلوا منها نحو ثلاثمائة رجل !

جاء الخزاعل إلى النجف للزيارة ، فحدثت هذه الوقعة على خلاف الشروط المعطاة إلى سعود بن عبد العزيز .

ولذا لم تَرُقْ هذه الحادثة للوزير وتأسف كثيراً لوقوعها ، وكانت السبب في الوقائع الأخيرة) .

ويقول بركارت ومسيل ان العدوان وقع من جانب العراقيين على فرقة وهابية كانت تحرس قافلة من حجاج الفرس كانوا في طريق عودتهم من الحج إلى أوطانهم .

محاولة لاسترضاء الدرعية :

ويقول مؤلف دوحة الوزراء :

(في أعقاب الحوادث التي وقعت سنة ١٢١٤ هـ . بين الخزاعل والوهابيين في النجف الأشرف وقتلهم نحو الثلاثمائة وهابي ، ووصول خبرهم إلى عبد العزيز ، قام هذا فوراً بالكتابة إلى الجهات المختصة محتجاً على هذه الحادثة ومتخذاً منها ذريعة لإلغاء الصلح ، ما لم تدفع اليه ديات القتلى ، ولأجل إيقاف تنفيذ ما قرره وإبقاء المصالحة على حالتها ، أوعز الوالي إلى عبدالعزيز البيك أحد أبناء الشاويين ، أن يعرج على الشيخ الوهابي ، بعد تأدية فريضة الحج ، ويحوّله عن عزمه .

ولما قدم عليه وباحثه حول الموضوع أصرّ الشيخ على رأيه ، وأخيراً طلب أن يسمح لعشائره بالرعي ما بين عانة والبصرة من جهة الشامية ، وذلك عوضاً عن ديات القتلى .. وإلا فلا مناص من نقض العهد .

ولما يئس الشاوي من إقناعه بالعدول عن ذلك أرسل ساعياً إلى الوالي يخبره بالأمر ، ويضيف بأن الوهابيين اتجهوا نحو العراق ، لينتقموا لقتلاهم .

وعندئذ أمر الوزير باتخاذ الاحتياطات الضرورية ، وأرسل علي باشا على رأس قوة عسكرية لتحول دون تعرُّض الوهابيين للعراقيين ، وسافر نحو الهندية ونزل قرب نهر الشاهي ، وأقام هناك بضعة أيام ثم رحل نحو شفاثة ، وقد التحقت به عشائر العبيد بقيادة محمد بيك ، والتحق به أيضاً فارس الجربا ، والبيات والعساكر النظامية القادمة من اربيل ، وتقدَّر بألفي جندي .

هجوم وهابي على العراق سبق واقعة كربلاء :

فلما بلغوا تلك الأنحاء رأوا القوات الوهابية قد حطّت رحالهـا هناك ، واستعدت أتمّ استعداد للقتال ، ولكنها قبل التصادم انسحبت أمام الجيش ، وبعد انسحابها قررت الحملة أن تميل نحو شفاثة ، لقلة المياه في المكان الذي عسكرت فيه ... وبقي الباشا هناك حوالي الثلاثة أشهر ثم عاد إلى الحلة .. ولما يئس من عودة الوهابيين ترك قوة كافية .. لتترصد الأخبار وتحافظ على الأمن وعاد ببقية أفراد الحملة إلى بغداد ..)

رواية ابن سند :

تختلف رواية ابن سند لوساطة الشاوي وحملة علي باشا لملاقاة الوهابيين تماماً عن رواية مؤلف الدوحة ، ونحن نرجح رواية ابن سند ، قال في أخبـار سنة ١٢١٥ هـ . ما يأتي :

(وفيها توجه عبد العزيز بن عبدالله بن شاوي الحميري إلى حج بيت الله الحرام وأمره الوزير بأن يمر على الدرعية في عودته ، ويلاقي سعود بن عبد العزيز ويكلمه في ديات من قتل من خزاعة وسكان النجف ، أي الذين قتلهم الوهابيون .. فلمـا أتمّ حجه قصد الدرعية وتلاقى مع سعود وكلمه في هذا الشأن ، فضحك وقال له :

« أما كفى الوزير أننا تاركوه يحكم في بغداد ، والله عما قريب ترى جميع غربي الفرات لنا ، وشرقيه له » .

فانقلب ابن شاوي بغير ما أمل .. وأعلم الوزير ردّ سعود .. فاستعد الوزير لمحاربة الوهابيين ..)

ويتحدث ابن سند عن حملة الكتخدا فيقول :

(سنة ١٢١٦ هـ . أغار سعود بأهل نجد الوهابيين على العراق سرايا وركبانا ، فنهبوا وسلبوا وحرقوا بعض القرى ، وسبوا وأسروا ، فأرسل الكتخدا علي بيك لمقاتلتهم ، ومحمد الشاوي وفارس الجربا ، ومعهم عسكر ، فلما التقنوا معهم ووجدوهم قد تحصنوا بالرواحل ، أي أنهم قربوا الابل ودخلوا وسطها وجعلوها متاريس ، وصاروا يرمون عليهم بالبنادق الرصاص من وسط الابل ، فجبن العسكر

وخافوا من الهجوم عليهم ورجعوا إلى شفاثي ، كحبالى ، وما بهم من عطش ، ولكن ادعوه كذبا، إنما هم كرهوا النزال في الحروب خوفاً على أرواحهم ، وكان يمكنهم أن يقرنوا الابل ويدخلوا وسطها، كما فعل الوهابيون، ويهجموا مع الإبل سوية .. ولكن ما أكثر أعذار الجبان) .

عجز الوالي عن الانتقام :

يرجع مؤلف الدوحة تقاعس الوالي سليمان باشا عن الثأر لواقعة كربلاء إلى مرضه ، وإلى انتشار وباء الطاعون في بغداد ، وهذا بعض ما قاله :

(سافر الكيخيا علي مسرعاً نحو كربلاء ،على أمل أن يظفر بالوهابيين وينتقم منهم وينقذ البلدة من قبضتهم ، إلا ان الأخبار وردته ، وهو يومئذ في الحلة ، بأن الوهابيين بعد ما نهبوا وقتلوا خرجوا قبيل العصر نحو الأخيضر ، فتوقف علي باشا في الحلة لأسباب اضطرته إلى هذا التوقف ولعدم بقاء ما يدعو للسفر إلى كربلاء بعد هروب الوهابيين منها .

وفي هذه الأثناء وصل متصرف البصرة الداماد سليم بيك هو وعثمان آغا والتحقا بالحملة التي اتجهت نحو الهندية وعسكرت فيها ، وهنا انتشرت شائعة مفادها ان الوزير الذي كان يشكو من مرض المفاصل قد اشتد عليه مرضه ولم يخرج من بغداد إلا لإخفاء هذا المرض الذي أقعده عن الحركة تماماً ويوشك أن يقضي عليه ، وهو الآن في أشد حالات المرض .

ومن جهة أُخرى ، وردت الأخبار بأن الطاعون أخذ يفتك بسكان بغداد فتكاً ذريعاً ويحصد منهم ما يقرب من سبعين نفساً في اليوم ، وهذه الأخبار المحزنة قد أقلقت الحملة وأقعدتها عن تنفيذ مهمتها ، فاكتفى علي باشا بإرسال بعض القوات إلى كربلاء من باب الإحتياط ..

هذا وقد نقلوا خزينة النجف الأشرف ، خوفاً عليها من غارات الوهابيين ، وضموها إلى خزينة موسى الكاظم ..) .

حرب الروس وثورة الأكراد :

يقول بعض المؤلفين ان (فتح علي شاه) ملك العجم عزم على (تجهيز جحفل

عدته مائة ألف مقاتل ، يغزو به الوهابيين في عقر دارهم ..

وكذلك سليمان باشا والي بغداد أخذ في اعداد جيش جرار يتولى قيادته بنفسه ..

ولكن .. فاجأت العجم حرب مع الروس ، وفاجأت سليمان باشا فتنة في بلاد الأكراد ، فانصرفت الهمم عن قتال الوهابي ..) [1] .

رأي دليل الخليج الفارسي :

يقول دليل الخليج الفارسي : (احترم الوهابيون الصلح المعقود بينهم وبين العراق ، حتى هوجمت قافلة من الحجاج العجم كان يقودها وهابي ، بين الحلة والنجف ،من قبل عربان العراق، فاعتبر الوهابيون هذا العدوان خرقاً للصلح..

وفي نيسان ١٨٠١ م . هاجم الوهابيون كربلاء ، وكان عددهم ستة آلاف .

هاجموا كربلاء هجوماً صاعقاً خلال ثماني ساعات فقط، هدموا اثناءها مشهد الحسين ونهبوا كل ما فيه وقتلوا الرجال ، ويقال ان عدد القتلى من أهل كربلاء ثلاثة آلاف وربما خمسة آلاف ، ولم يفقد الوهابيون أي قتيل، وقد أخذوا معهم أيضاً عدداً من الأسرى .

ويقال إن المقيم البريطاني « سربريدجس » جمع أموالاً وافتدى بها مائتين من أسرى العجم وأعادهم إلى بلادهم .

هاجم الوهابيون، بعد كربلاء، النجف، ولكن أهلها ردوهم،ثم هاجموا شط العرب، قرب البصرة ، فردهم أهل الزبير .

.. ومات سليمان باشا قهراً .. في ٧ آب سنة ١٨٠٢ م .) .

---

(١) أنظر كتاب حاضر العالم الإسلامي .